

## المحاضرة رقم 01: الفصاحة و البلاغة

تعود نشأة البلاغة العربية إلى نزول القرآن الكريم أساسا و الشعر و القول البليغ عموما ، فباننتشار الإسلام كانت الحاجة لوضع قوانين في اللغة أين ظهر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، و جمعت القواعد النحوية و الصرفية مما أدى إلى ظهور مصنفات عدة بداية بكتاب " الكتاب" لسيبويه ، كما جُمعت أشعار العرب و خطبهم كل هذا لمنع وصول اللحن إلى اللغة العربية و الحفاظ على الفصاحة.

**الفصاحة :** للفصاحة لغة أكثر من معنى لكن تلتقى كل المعاني في دلالتها على الظهور و البيان " الفصاحة البيان و الظهور ، فصح الرجل فصاحة ، فهو فصيح و كلام فصيح أي بليغ و لسان فصيح أي طلق و فصح الأعجمي فصاحة في اللغة المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديئه ، و أفصحت الشاة و الناقة خلص لبنها و أفصح الصبح بدا ضوءه و استبان تكلم بالعربية و فهم عنه و أفصح عن الشيء أفصاحا إذ بينه و كشفه، و الفصيح كل ما وضح فقد أفصح و كل واضح مفصح" <sup>1</sup>، وقد ورد استعمال لفظ الفصاحة بمعنى الظهور و البيان في قوله تعالى في سورة القصص " و أخي هارون هو أفصح مني لسانا " ، يقال كلمة فصيحة اشارة الى كلمة معينة و يقال هذا كلام فصيح اشارة الى مركب معين، و يقال هذا متكلم فصيح إشارة الى شخص معين .

**فصاحة الكلمة :** تتحقق فصاحة الكلمة اذا خلت من العيوب التالية:

**1-تنافر الحروف :** وهو أن تكون الكلمة ثقيلة على اللسان إما بتقارب مخارج الحروف أو بتباعدها و التنافر نوعان : تنافر شديد مثل الطش للموضع الخشن و الهعخع لنبات ترعاه الإبل و تنافر خفيف مثل: النقاخ و هو الماء العذب يقول الشاعر: **و أحمق ممن يكرع الماء قال لي دع الخمر و اشرب من نقاخ بارد**

ومثل " مستشزرات" و تعني مرتفعات ، ولكن لو اعتبرنا التباعد أو التقارب في المخارج سببا للتنافر المخل بالفصاحة " لاقتضى ذلك وقوع غير الفصيح في القرآن ، كما ورد في قوله تعالى " ألم أعهد اليكم يا بني آدم" مع تقارب الهمزة و العين و الهاء في المخرج ، وورود غير الفصيح في القرآن المعدود في أعلى طبقات الفصاحة ، مما لا يقول به عاقل " <sup>2</sup>، فتباعد مخارج الحروف أو تقاربها " ليس سببا كافيا للتنافر لبعده إطراده ، و المعول عليه في ذلك هو الذوق السليم ، فما عد ثقيلًا متعسر النطق فهو متنافر ، و ما عد خفيفا سهل النطق فهو فصيح غير متنافر " <sup>3</sup>

1 - ابن منظور: لسان العرب ، مادة فصح ج5، ص3419 .

2 - عبده عبد العزيز قنقلية : البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط3، 1992، ص22.

3 - المرجع نفسه ، ص 22.

2- مخالفة الوضع : أن تكون الكلمة مخالفة لما ثبت عن الواضع ، سواء وافقت أو خالفت القياس  
مثال :

مهلا أهازل قد جربت من خلقي أني أجود لأقوام و إن ظننوا

ظننوا بمعنى بخلوا وهي لفظة غير فصيحة لأنها مخالفة لما هو شائع و مثلها كلمة الأجل في قول  
الشاعر:

الحمد لله العلي الأجل أنت ملك الناس ربا فأقبل

3- الغرابة : أن تكون الكلمة وحشية أو غير ظاهرة الدلالة على معناها فنحتاج لفهمها البحث في الكتب  
اللغوية ومثال ذلك ما روي عن عيسى بن عمرو النحوي أنه سقط عن حمار له فاجتمع الناس حوله  
فقال: "مالكم تكأكأتم علي كتكأكؤكم على ذي جنة؟ افرنقعو " أي مالكم تجتمعن علي كتجمعكم على  
مجنون ؟ تنحوا عني.

ومثله أيضا " الحقلد " أي السيء الخلق في قول زهير بن أبي سلمى :

تقي نقي لم يكثر غنيمة بنكهة ذي قربي ولا بحقلد

4- أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية ، كما قال أبو تمام:

جليت و الموت مبد حر صفحته و قد تفرعن في أفعاله الأجل

فإن "تفرعن" مشتق من اسم فرعون و هو من ألفاظ العامة و عادتهم أن يقولوا : تفرعن فلان إذا وصفوه  
بالتجبر.

5- أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة ، و يدخل في هذا القسم كل ما ينكره  
أهل اللغة ، و يرده علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة و قد يكون ذلك باعتبار اللفظة بغير  
عربية ، كما أنكروا على أبي الشيص قوله المقرض و قالوا ليس المقرض من كلام العرب:

وجناح مقصوص تحيف ريشه ريب الزمان تحيف المقرض

6 - أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف: فإنها متى زادت على الامثلة المعتادة خرجت عن وجه من وجوه الفصاحة و من ذلك قول أبي نصر بن نباتة كلمة **مغناطيسهن** فهي كلمة طويلة وفيها عيوب أخرى مما سبق : **فإياكم أن تكشفوا عن رؤوسكم ألا إن مغناطيسهن الذوائب**<sup>4</sup>

**فصاحة الكلام** : يكون الكلام فصيحاً إذا خلا من العيوب الثلاثة الآتية : **تنافر الكلمات** : أن تكون الكلمات المجتمعة ثقيلة على اللسان عسيرة في النطق ومثال ذلك :

**وقبر حرب بمكان قفر**      **و ليس قرب قبر حرب قبر**

و ألا تكون في الكلمات حروف متقاربة مثل:

**لو كنت كنت كتمت الحب كنت كما**      **كنا و كنت و لكن ذاك لم يكن**

2-**ضعف التأليف** : و هو أن يكون في التركيب العام للكلام خروج على قوانين النحو التي اتفق عليها النحاة كالإضمار قبل ذكر المرجع في قولنا: " **قتل أسرهُ الأسير**" فإن الضمير في آسره راجع الى الأسير ، و هو الأسير متأخر لفظاً و رتبة ، و في الإخلال بفصاحة الكلام نصب المضارع بدون ناصب مثل :

**قبيح من الانسان ينسى عيوبه**      **و يذكر عيباً في أخيه قد اختفى**

3-**التعقيد** : وهو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى لخلل واقع في نظمه و تركيبه بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم و تأخير أو فصل أو حذف مما يؤدي الى صعوبة في المعنى. **مثال1: فأصبحت بعد خط بهجتها كأن قفراً رسوماً قلماً**

يصف الشاعر داراً بالية و أصل الكلام : **فأصبحت بعد بهجتها قفراً كأن قلماً خط رسوماً**، ففيه من الفصل و التقديم و التأخير ما جعله مثلاً للتعقيد في أقبح صورته.<sup>5</sup>

**مثال2: جفخت و هم لا يجفخون بها بهم**      **شيم على الحساب الأغر دلائل**

يصف قوماً بحسب الشمائل جفخت أي افتخرت و أصل التركيب : **جفخت بهم شيم دلائل على الحساب الأغر و هم لا يجفخون بها**، و قد فصل الشاعر بين الفعل و الفاعل و هما **جفخت شيم** بأجنبي هو جملة و هم لا يجفخون بها الواقعة حالاً و فصل بين الصفة و الموصوف و هما **شيم دلائل** بالجار و المجرور و هما على الحساب الأغر.

**التعقيد المعنوي**: و هو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة الى المعنى الثاني المقصود بحيث يكون أدراك المهني يحتاج الى

- ينظر : عبد العزيز قليقيلة : البلاغة الاصطلاحية، ص22-23.

5 - المرجع السابق : ص24.

تكلف كقول العباس بن الاحنف : سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا و تسكب عيناى الدموع لتجمدا

الشاهد في هذا البيت " لتجمدا " فإنه لم يوفقني أداء المعنى الذي أراده من هذا اللفظ ذلك انه أراد أن يكنى عما قصده بكنائيتين ، أصاب في احداهما و أخطأ في الأخرى.

3- فصاحة المتكلم : ملكة يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح ، و تكتسب ملكة الفصاحة عن طريق التمرس بالآثار الأدبية شعرا و نثرا ، قراءة و فظا و فهما .

البلاغة : وضعت لفظة البلاغة لتدل على الوصول الى المكان و النهاية الى الغاية التي يقصدها العرب في بداوتهم و رحيلهم من مكان الى آخر ، ثم تطور هذا اللفظ ليشمل مع هذا المدلول الحسي أموراً معنوية ينتهي بها صاحبها الى ما يريد أن يصل اليه من غايات متعددة.

سئل العتابي ما البلاغة ؟ فقال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة و لا حبسة و لا استعانة فهو بليغ .. فقيل له : قد عرفنا الإعادة و الحبسة ، فما الاستعانة ؟ قال: أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه: يا هناه، و يا هيه ، ، واستمع إلي ، و افهم عني، أو لست تفهم ، أو لست تعقل فهذا كله وما أشبهه عي و فساد .<sup>6</sup>

و في الاصطلاح البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، فالبلاغة راجعة الى اللفظ باعتبار إفادته المعنى بالتركيب<sup>7</sup> فالبلاغة حسب هذا التعريف تقوم على دعائم أولها اختيار اللفظ و ثانيها حسن التركيب و صحته و ثالثها اختيار الأسلوب مع حسن ابتداء ، و حسن انتهاء ، و يورد الجاحظ في بيانه تعريفات عدة للبلاغة فهي حيناً بمعنى الإيجاز أو بمعنى الإحاطة بكل جوانب المعنى أو تصويرها الباطل في صورة الحق و الحق في صورة الباطل بالإضافة الى المقدره المتميزة على أداء المعنى و اقناع المستمعين بها، و الرماني في النكت يجعل البلاغة على ثلاث طبقات : عليا و دنيا و طبقة الوسائط، و أعلاها طبقة بلاغة القرآن ، و البلاغة عنده: ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ ...<sup>8</sup> ، تختلف باختلاف موصوفها يقال هذا كلام بليغ و هذا متكلم بليغ و لا نقول هذه كلمة بليغة لأن الكلمة لا تكوّن معنى كاملاً يوصف بالبلاغة.

بلاغة الكلام : بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع سلامته من العيوب المخلة بفصاحته، فالمدح مثلا يدعو المتكلم لأن يستخدم الإطناب في كلامه لأن مقام المدح يقتضي ذلك و الإيجاز يوجب على صاحبه أن يكون ذكيا في كلامه و مختصرا و دقيقا مطابقا لمقتضى الحال ، يقول أحمد حسن الزيات : " إن البلاغة هي ملكة يؤثر بها صاحبها في عقول الناس و قلوبهم، من طريق

<sup>6</sup> - مازن المبارك : الموجز في تاريخ البلاغة ، دار الفكر، ص 15.

- القزويني : التلخيص ، شرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط01 ، 1904 ، ص 33.

- سعد سليمان حمودة : دروس في البلاغة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1999 ، ص 21.

الكتابة أو الكلام ، فالتأثير في العقول عمل الموهبة المعلمة المفسرة ، الجاذبة المؤثرة ، ومن هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الاقناع على أكمل صورة و تحليل ، ذلك أن بلاغة الكلام هي تأثير نفس في نفس و فكر في فكر " ، وهذا هو شرح ما قاله الأقدمون من أن البلاغة هي مطابقة مقتضى الحال ، فلكي نؤثر في نفوس المخاطبين لا يصح أن نخاطبهم بما لا تستطيع أن تدركه عقولهم ، أو بما لا يتفق و ينسجم مع اهتماماتهم و حاجاتهم.

**بلاغة المتكلم :** هي ملكة راسخة في نفس صاحبها يتمكن بها أن يؤلف كلاما بليغا في أي معنى يريد ، و صاحب هذه الملكة بليغ و إن لم ينطق ، أي بليغ بالقوة ، فإذا نطق أو كتب كان بليغا بالفعل.